الهجاء في ديوان الشاعر عمرو عيسى التندميرتي

ا. ناجي جمعة صالح لشهب

كلية القانون والشريعة / جـامعة نـالوت

رقم الهاتف: 0918537261 / البريد الإلكتروني: najelshhab1981@gmail.com

الملخص

قامت هذه الدراسة بإبراز شاعرية الشاعر عمرو عيسى التندميرتي؛ أحد رموز الإصلاح في جبل نفوسة قبيل الاحتلال الإيطالي لبلدنا الحبيب، من خلال دراسة القصائد الهجائية في ديواني الشاعر، وتمثلت في قصيدتين الأولى في الهجاء أهل قريته لعدم اتباعهم الحق المبين، والقصيدة الثانية التي هجا فيها الشاعر شخصًا يدعى أبو نصر الشامي يعمل قاضيًا في مدينة نالوت قبيل الاحتلال الإيطالي، الذي هجا وأساء إلى أهل الجبل، كما أساء إلى شيخه وقدوته عبد الله الباروني. وكان الشاعر صادق الإحساس ولم يخش في الله لومة لائم، مما جعل معظم قصائده قريبة جدًا من واقعنا، وتحاكي حال الكثيرين، ومن باب الإسهام في إبراز الأدب الليبي، وإظهار جهود مبدعيه، وليكون له حضور ضمن الأدب العربي.

الكلمات المفتاحية: الهجاء، جبل نفوسة، الإصلاح.

SUMMARY

The study highlighted the poeticism of the post Amr Issa AL-Tandimirt; One of the symbols of reform in Mount Nafusa before the Italian occupation of our beloved country through studying the satirical poems in the poet's collections, represented in two poems, the first satirizing the people of his village for not following the revealed truth, and the second poem in which the poet satirized a person called Abu Nasr al-Shami who worked as a judge in the city of Nalut shortly before The Italian occupation, which satirized and insulted the people of the mountain, and also insulted its sheikh and role model, Abdullah Al-Barouni. The poet was sincere in his feelings and did not fear, for God’s sake, the blame of the critic, which made most of his poems very close to our reality, and imitate the situation of many, and as a way of contributing to highlighting Libyan literature, and showing the efforts Its creators, and to have a presence within Arabic literature.

Keywords: Satire, Nafusa Mountain, Reform.

1. المقدمة

لقد أنجز هذا العمل من أجل دراسة غرض من أغراض الشعرية، وهو الهجاء لأحد شعراء بلدنا الحبيب ليبيا، وعالم من علماء الجهاد المعرفي، والإصلاح الديني في جبل نفوسة وهو فضيلة الشيخ الشاعر (عمرو عيسى التندميرتي)، الذي عاش في المدة بين 1832 ـ 1903م.

2. أهمية البحث

تنبع أهمية البحث بإسهامه في خدمة الأدب الليبي، ودراسة أحد رواده في جبل نفوسة خاصة وليبيا عامة.

3. أهداف البحث

التعريف بأحد شعراء جبل نفوسة

4. حدود البحث

1_ الحدود الزمنية: من الفترة 1832 إلى 1903 م.

2_ الحدود المكانية: فهي تختص بجبل نفوسة.

5. تساؤلات البحث

ماهي الأسباب التي دعت الشاعر إلى الهجاء؟

6. معوقات البحث

قلة المصادر والمراجع والدراسات السابقة أدت إلى عدم المعرفة بشاعرية هذا الشاعر.

7. منهجية البحث

اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج الوصفي التحليلي.

8. الدراسات السابقة عن الموضوع

لم أقف على أية دراسة أكاديمية تناولت الشاعر، إلا بعض الإشارات البسيطة التي عالجت سيرته معالجة عابرة مثل (كتاب منعطفات الإصلاح) لعمرو أحمد عيسى، وكتاب الحركة الشعرية في ليبيا للدكتور قريرة زرقون نصر، ومعجم الأدباء والكتاب الليبيين لعبد الله مليطان، وهذا ما سوغ لنا اتخاذ ديواني الشاعر مادة للدراسة.

6. هيكلية البحث

1_ المقدمة.

2_ المبحث الأول/ مدخل لدراسة شعر الشاعر

المطلب الأول: السيرة الذاتية للشاعر

المطلب الثاني: التعريف بديوان الشاعر

3_ المبحث الثاني/ الهجاء في شعر

المطلب الأول: هجائه لأهل لقريته

المطلب الثاني: هجاء الشاعر دفاعًا عن شيخه وأهل الجبل

4_ الخاتمة.

5_ قائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول

مدخل لدراسة شعر الشاعر

المطلب الأول: سيرته الذاتية

المطلب الثاني: التعريف بديوان الشاعر

1:1 السيرة الذاتية للشاعر

1- اسمـه ونسبـه

2- مــولــده

3- نشـأتـه

4- سيرتـه التـعليمية

5- شيـوخـه

6- تـلاميذه

7- وفـاتـه

1:1 اسمه ونسبه

هو أبو حفص عمرو بن عيسى بن سيفاو بن محمد بن عمرو بن مسعود بن عيسى بن محمد التندميرتي. [1]

ويرجع نسبه إلى تندميرة الواقعة في جبل نفوسة، حيث يقول العالم المؤرخ أحمد الزاوي معرفًا بجبل نفوسة هو سلسلة جبال صخرية تمتد من الغرب إلى الشرق، وهو جزء من سلسلة جبال أطلس التي تبتدي من المحيط الأطلسي، وتمر بمراكش والجزائر وتونس وطرابلس، وتنتهي إلى جبال قماطة وهي الهضاب التي تسمى (النقازة) غربي مدينة الخمس بقليل [2].

على الأطراف الغربية من هذه السلسلة يقع جبل نفوسة، وفي أحضان واحدة من قممه تغفو تندميرة [3].

2:1 مولـده

ولد الشاعر عمرو في تندميرة، في عام لم تتحدد بعد على وجه الدقة واليقين، ولعل الأمر فيما يتعلق بموالد العلماء والمصلحين ما عاد في حاجة إلى تأكيد، حقيقة أن الناس في فترات التخلف لا يأبهون كثيرًا لتفاصيل حياة الأعلام إلا بعد أن يذيع في الناس ذكرهم، ويذهب في الآفاق صيتهم [4]، لكنَّ الشيخ إمحمد صالح التندميرتي [5] قال: إن الشاعر الشيخ عمرو عاش ثمانين عامًا وتذكر المصادر [6] أن تاريخ وفاته كان في 8 جمادى الأولى سنة 1321 هـ \ 1903 م. وهذا ما يجعلنا نرجح أن ميلاده بالمقاربة التاريخية حـــوالي سنة 1241 هـ \ م 1823

3:1 نشـأتــه

نشأ الشاعر في كنف أسرة كريمة متكونة من والده الذي ليس له من الأبناء غيره، ومن والدته سالمة بنت محمد بن عيسى بن مسعود الجد المشترك لوالديه، ومن أخرون للأم هما إمحمد، وسالم وأخت هي تعزيز، وقد أنجب من البنات سالمة وسليمة.

ومن الأبناء عيسى ويوسف والسيفاو، وله من الأحفاد أبناء ابنته سالمة الحاج عمرو والفقيه إمحمد ومسعودة وسليمة، وحفيدة من ابنته سليمة وهي عائشة [7].

ويقول الشيخ إمحمد صالح التندميرتي: إن الفقيه عيسى والد الشاعر توفي، وابنه مازال في طفولته، وأن له علاقات حتى خارج قرية تندميرة، ويدل على ذلك أن أصدقاء له من قرية كاباو لما حلُّوا بتندميرة سألوا قائلين: أين ابن الفقيه عيسى؟

فجاء إليهم الشاعر عمرو، وهو في حالة من التعب والإرهاق من أعمال الفلاحة والرعي، فساءهم حاله فطلبوا من خاليه اللذين يكفلانه، وهما سالم ومحمد أن يسمحا له أن يرافقهم إلى كاباو لأجل الدراسة، وبعد موافقتيهما ذهب إلى كاباو معهم، وهناك التقى بالشيخ عبد الله يحي الباروني، فأُعْجِبَ الشيخ عبد الله بما رأى في الشاعر عمرو من علامات النبوغ والتفوق والحرص على طلب العلم. فلازم الشاعر الشيخ عبد الله الباروني، وانتقل معه إلى جادو، ثم إلى يفرن [8].

4:1 سيرتـه التعليمية

بدأت سيرة الشاعر التعليمية بحفظ القرآن الكريم في كتاب القرية الشهير بمسجد (أبي قشقاش) على أيدي القائمين بهذه المهمة الجليلة؛ من مؤدبين ومقرئين ومن ضمنهم الشيخ أيوب الكاباوي [9]. وتعد فترة انتقاله من قريته تندميرة إلى كاباو مع أصدقاء والده هي بداية رحلته العلمية، حيث التقى بالشيخ عبد الله الباروني، فلازمه فانتقلا إلى جادو، ثم إلى يفرن، والتحق بالمدرسة البارونية والمعروفة بمدرسة (البخاخة) التي كانت تتبع نفس النظام السائد في المدارس التابعة لجوامع الحواضر الكبرى، كالأزهر في مصر والزيتونة في تونس [10].

وبعد أن أكمل تعليمه، أخذ ينتقل بين قرى جبل نفوسة ومساجدها، يأمر الناس بالمعروف وينهى عن المنكر، ويعظهم بلسانه وسيرته، وكان شديدًا على العصاة [11]، وكان فوق ذلك شاعرًا بارعًا يعد من الطبقة الأولى من شعراء عصره في المنطقة [12]. وقد كانت له مكتبة ضخمة من الكتب أحرقت في أحداث الفتنة التي وقعت بين العرب والأمازيغ عام 1340 هـ [13].

5:1 شيوخـه

يقول الشيخ إمحمد صالح التندميرتي: " إنَّ الشيخ " عبد الله يحيى الباروني " يُعدُّ الشيخ الوحيد الذي تتلمذ على يديه الشاعر "عمرو عيسى التندميرتي"، فلم تشر المصادر أنه تتلمذ على أيدي مشايخ آخرين، فقد كان الشيخ " عبد الله " قدوة للشاعر عمرو عيسى التندميرتي" [14].

6:1 تلاميـذه

يقول الشيخ إمحمد صالح التندميرتي: " إن من طلبة الشيخ " عمرو " الشيخ علي الفطفاط من قرية القلعة، والشيخ صالح قوجة من جزيرة جربة، والشيخ سعيد بن تعاريت وهو أيضا من جزيرة جربة في تونس" [15].

7:1 وفـاتــه

توفي الشاعر ـ رحمه الله ـ بتاريخ 8 جمادى الأولى 1321 هـ / 1903 م [16].

2:1:1 التعريف بديوان الشاعر

لم ير النور من أعماله إلا ما أدركته الألطاف على يد المجاهد سليمان الباروني، فقد طبع قصائده الوعظية وبعض مدائحه في قسم ألحقه بديوان والده الشيخ عبد الله الباروني الذي نشره في بدايات القرن العشرين في القاهرة، كما طبع له ديوان القلائد الدرية في مدح خير البرية منفرداً

[17]. يقول الدكتور محمد مسعود جبران:" بعد السماح لسليمان الباروني بالسفر إلى الديار المصرية عام 1906م، أنشأ خلال إقامته بالقاهرة مطبعة الأزهار البارونية التي طبع فيها بعض الدواوين الشعرية من بينها ديوان الشاعر" عمرو عيسى التندميرتي". كما يقول كذلك الدكتور الصيد أبو ديب في مقالة له بعنوان (إضاءة تاريخية حول الشعر الليبي ودواوينه المطبوعة ما بين عام 1882م ـ 1992م): إن الحياة الأدبية في الجانب الشعري عرفت في أواخر القرن الماضي ومطلع هذا القرن ثلاثة دواوين شعرية هي على التوالي: ديوان مصطفى بن زكري، وديوان الشيخ عبد الله الباروني وتلميذه عمرو عيسى التندميرتي، وديوان سليمان الباروني [18].

وقد نشر هذا الديوان بين الشاعر وشيخه عبد الله الباروني، وهو الديوان الليبي الوحيد الذي نُشر مشتركًا بين شاعرين ليبيين، أما ديوان الشاعر محمد حامد الحضيري (أصداء العشق والحرية) الذي صدر عام 1990م مشتركًا مع الشاعرة فاطمة السيد، فهو أول ديوان مشترك يصدر لشاعر ليبي مع شاعر من قطر عربي آخر [19]. ويشتمل هذا الديوان المشترك للشاعر مع شيخه على ستٍ وعشرين قصيدة، منها ستَ عشرة قصيدة ما بين تشطير لمنظومة القرطبي وتخميس القصائد الحلبية والمضرية، وقصائد ذاتية بلغت عشرًا.

أما ديوانه القلائد الدرية في مدح خير البرية فهو يشمل أربعًا وثلاثين قصيدة مقسمة بين تسع وعشرين قصيدة مخمسة قام الشاعر فيها بتخميس القصائد الوترية، في مدح خير البرية ـ محمد صلى الله عليه وسلم ـ وخمس قصائد قام الشاعر بتشفيع قصائد عروسية. ومما يبرز دور الشاعر الإصلاحي في مجتمعه تناوله بعض العادات المحرمة شرعًا كمنع النساء من الميراث، كما في قوله [20]:

وإنَّـــي جَـعَلْتُ يَا إلهـي وَسـيلَتِي *** إليكَ كِتَـابَكَ الكَـرِيمَ المُنَـزْلاَ
وبـــآلْ عِمْـرَانَ وبـالسـورة التَّـي *** بِـهَا أَحْكَـامُ المَوَارِيثِ فَـصْلاَ
وخَـصَّـصَ كُـلَّ وَارِثٍ بِنَـصِيبِـهِ *** وبَيَّنَـــهُ ولَمْ يُخَلِّهِ مُهْمَـلا
فبؤسا لمـن غـدا يـخصص بمالــه *** الذُّكُورَ ويَتْرَكَ الإِنَاثَ سَبَهْلَلا

وقضية البخل والحرص على جمع الأموال كما في قولـه [21]:

وإذا الإلَـهُ أعْطَاكَ مَـــالاً *** فَلْتُوَاسِ بِـهِ ذَوِي الحَـاجَـاتِ
مِنْ فَقِيرٍ أتاكَ وابْن السَبِيلِ *** ولتُوَاصِلْ بِـهِ ذَوِي القُرُبَاتِ
إنَّ فِي المَالِ لِلعِبَادِ حُقُوقًا *** يَسْتَحِقُونَـهَا خِـلافَ الزَّكَاةِ

وإذا هـمَمْتَ تُنْفِقُ شَـيْـئاً *** فَـلْيَكُنْ سَالِماً مِنَ المُحْبِطَاتِ

المبحث الثاني

الهجاء في شعر الشاعر

المطلب الأول: هجاء أهل قريته وأقاربه

المطلب الثاني: الهجاء دفاعًا عن شيخه وأهل جبل نفوسة

1:1:2 هجاء أهل قريته وأقاربه

يتصل الهجاء بالحماسة اتصالًا وثيقًا وذلك لأن الشعراء قبل الإسلام كانوا إذا هجوا لا يفردون القصائد الهجاء، وإنما يهجمون من خلال شعرهم الحماسي، فهم في حماستهم الدافقة نحو الدعوة إلى الحرب والإشادة بانتصارات قبائلهم كانوا يقفون بالمرصاد لكلّ قبيلة تعاديهم، فيعدّدُون مثالبها وكانت القبائل عامة تهفو إلى الإنصاف بما تراه مُثلاً عليا تتمثل في صفات الشجاعة والكرم وحماية الجار والثأر إلى غير ذلك من الصفات الحميدة التي نجدها في قصائد مدائحهم، ومن ثم كان شعرهم الهجائي يدور حول نقائض هذه الصفحات فهم يصفون أعداءهم باللؤم والوضاعة والجهل، فكثيراً ما ينبثق الهجاء لديهم من الحروب التي تدور بينهم [22]. أما شعر الهجاء في صدر الإسلام والتي جرت بين الشعراء الفريقين المسلمين والمشركين، فقد اشتمل على شعر كثير بدأ في بدر، واستمر حتى فتح مكة، وهاجت بين الشعراء الفريقين حرب كلاميَّة مواكبة لحرب السيف، ولم تنته إلا بعد فتح مكة ودخول قريش جميعها في الإسلام، وبجانب هذه الأهاجي والنقائض التي تعددت بين شعراء الفريقين نجد الهجاء الذي يوجهه شعراء المسلمين إلى القبائل في موقفها من الإسلام [23]. وتطور الهجاء لدى الشعراء المسلمين في العصر الإسلامي، لأنهم سخَّروا هذا الغرض لخدمة الدين، وعلى هذا فإن معاني الهجاء قد انقسمت عند هؤلاء الشعراء إلى نوعين:

1- نوع يعد امتدادًا لما كان عليه الهجاء في مرحلة ما قبل الإسلام من الطعن بالمثالب ونهش الأعراض، ولكن في شيء من التحرج والتأدب، لأنهم كانوا يهجون قوم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ منهم.

2- نوع جديد تتمثل معانيه في الرمي بالمفر وعدم الاستجابة لداعي الله إلى غير ذلك من المعاني التي تدور في هذا الفلك [24]. هذا ما جعل الشاعر "عمرو عيسى التندميرتي" يتخذ

من الهجاء وسيلة دفاع عن الدين، لأن ما عاش الشاعر في قريته من جفاء أهلها عن فعل الخيرات، والتقرب إلى الله، وعدم استجابتهم لمن ينصحهم ويرشدهم إلى ما فيه خير لهم في الدنيا والآخرة، قاد الشاعر إلى هجائه لهم في قصيدة من ستة وأربعين بيتًا، ويذكر سبب هجائه لقريته في مطلع القصيدة [25]:

مَنْ لِـي لِدَفْعِ تَرَاكُمِ الأَشْغَالِ *** ولِكَشْفِ مَا بِالبَالِ مِنْ بِلْبَالِ
ضَاقَتْ عَلـيَّ مَذاهَبِي وتَحَيُّلِي *** وبَقَيْتُ فِي بَـحْرِ مِنْ الأَهْوَالِ
دَائِي مِنْ أَهْلِ مَحَلَّتِي وعَشِيرَتِي *** بَلْ مِنْ خُصُوص أَقَارِبِي وعِيَالِى
فَـمَنْ الَّذِي يَحْمِي حِمَايَ مِنْهُمْ *** ومن الَّـذِي مِنْهُمْ يَـرُقُّ لِحَالِـى
كَيْفَ السَّبِيلُ لِدَفْـعِ مَا قَـدْ نَابَنِي *** مِـنْ شَرِهُمْ فِـي النَّفْسِ والأَمْـوَالِ
وكَذَلِكَ عِرْضِي لَيْسَ يَسْلَمُ مِنْهُمُ *** حَسْبِـي لكَيْدِهُـمْ الإِلَـهُ العَالِـى
رَانَ الذُّنُوبِ عَلَى صَمِيمِ قُلُوبِهِم *** فتَغَـلَّفَتْ بِـالطَّبعِ والأَقْفَالِ
صَعُبَ العِلاَجُ لجَـهْلِهِمْ وفَسَادُهُمْ *** عَنّي فَـمَا رَأْيِي ومَا احْتِيَالِي
إذا أَمَـرْتُـهُـمْ فَتَّمَنَعُـوا وزَجَـرْتُـهُمْ *** فتَعَنَّتُوا وتَمَادُوا فِي التِضْلالِ
ووعَظْـتُهُـمْ فَـأَبَـوا قَبُولَ مَقَالتِـــي *** وتَـرَكْتَهُمْ فَبَقُوا بِبَحْـرِ ضَلالِ
فـمَنْ أَجْل ذا لا أَحْمُدَنَّ خِصَالـهُمْ *** وكَـذا هُمْ لا يَـحْمُدُونَ خِصَالِ

يبرز الشاعر في هذه الأبيات أهم الأسباب التي جعلته يهجو أهل قريته ومنها أن الأرض ضاقت عليه بما رحبت، مما يراه من أفعال أهل قريته وتصرفاتهم البعيدة كل البعد عن الدين، والأخلاق الحميدة، حتى أن الشاعر يصف حالته أنها أصبحت متكدرة نتيجة تراكم الهموم وهذه الهموم، من أهل محلته وعشيرته، وهو ما أقره الشاعر حتى أنه نعتهم أنهم سبب دائه، ويصور الشاعر أهل قريته بصورة العدو حين يسأل عمن يحمي حماه منهم، ومن يدفع شرهم الذي أصابه في النفس والأموال، حتى أن عرضه لم يسلم من أذاهم، وهو ما جعله لا يحمد خصالهم وهم كذلك لا يحمدون خصاله. ويبين الشاعر أنه لا حيلة له في معالجة جهلهم وفسادهم لصعوبة العلاج، فهم إن أمروا تمنعوا وإن زجروا تعنتوا وإن وعظوا أبوا ورفضوا الموعظة.

ثم ينتقل الشاعر ليصف كبار أهل القرية وما هو عليه حالهم، فشبَّه عقولهم بعقول الأطفال دليلا على السخافة والسذاجة، وعدم تحمل المسؤولية، ويدعو الشاعر بعدم الاغترار بمظهرهم فخصالهم ليست خصال رجال بالرغم من لحاهم التي في وجوههم.

في قوله [26]:

سـُـخْفُ الآرَاء لا يُحْسِنُونَ تَصَرُّفا *** فَـشُيُوخُهُمْ فِي العَقْل كَالأَطْفَال

لا تَـغْـتَرَرْ بلِحَـــاهُـمْ فَتَـهَابُهُمْ *** لَيْسَتْ خِصَالُهُمْ خِصَـالُ رجَال

واحْـذرْ هُـدِيْتَ بِـأنْ يَغُرُّكَ وَعْـدُهُمْ *** فكَـــلاَمُـهُمْ شِبْـهُ الـهَبَـا والآل

فَـإذا رَأَيْـتَ الشَّخْصَ مِنهُمْ خَلْـتَهُ *** عَـيْنُ القَبِيلـةِ وهُـوَ كَالتِمْثَـال

كما يصف الشاعر حالهم في أمور الدين والعبادة، فمثل لحالهم بالغربال الذي يتمسك بما لا ينفع ويطرح الدقيق وهو المفيد، وقصد بذلك تمسكهم بخسيس الأمور وإضاعتهم للمهم والأهم ومثل لذلك بالصلاة التي انشغلوا عن تأديتها، فبعضهم يؤخرها، أو يتركها، وبعضهم الآخر لم تخطر بباله، أما الزكاة والصدقات، فأموالهم يصرفونها في اللهو والفحش، وإذا أمروا بالصدقة يتعذرون بالافتقار فقال [27]:

تَرَكُوا الأهَمَّ مِنْ أمْرِهِمْ وتَمَسَّـكُوا *** بـخَسِيْسِهَا كتَحَفُّظِ الغِـرْبَال

إذْ شَأنُـهُ طَرْحُ الدَّقِيق إضَــاعَـةً *** فَافْهَمْ فَدَا ضَرْبٌ مِنْ الأمْثَـال

لا يَعْـتَـنُونَ حَيَاتَـــهُمْ بـفَضِيلـةٍ *** وتَـهَاوَنُـوا بـالفَـرْض والأنْـفَال

أمَّا الصَّلاةُ تَـهَاونُوا بـشُنُونِــهَا *** شُـغْلا بـكُلِ نَـقِيْـصَةٍ ومُحَـال

بـعْـضٌ يُـؤَخِـرُهَـا ويَتْرُكُ تَــارَة *** والبَـعْضُ لَـمْ تَـخْطُرْ لَهُ بِالبَـال

تَرَكُوا الحُقُوقَ اللازمَاتِ بأسْرِهَا *** أفٍّ لَـهُمْ مِـنْ عُـصْـبَـة أرْذَال

ويصور الشاعر حال أهل قريته، ويستغرب من حالهم حين يأتيهم كاهن يجودون له بغير سؤال وكذلك إذا رأوا يوما سفيهًا لا قوه بالترحيب، وأجلوه وقضوا حوائجه، لكنهم إذا رأوا بائسًا فقيرًا متعففًا أو عابدًا أو عالمًا يريد المصلحة لهم استخفوا بهم وهنا يحكم الشاعر عليهم بأن كل خصال الخير مفقودة فيهم ولم يبق سوى التفريط والإهمال، فقال [28]:

فَـإذا أتَـاهُمُ كَـاهِنٌ مُتِشِدْقٌ *** جَادُوا لَـهُ عَفْوا بِـغَيْرِ سُؤَال

وإذا رَأوا يَومـاً سَفِيهاً مُقْبِلاً *** نَهَضُوا إلَيْهِ وحِيُّوا بِاسْتِعْجَالٍ

وتَبَسَّمُوا فِي وَجْهِهِ وتَـهَلَّلُوا *** ولَقُـوهُ بِـالتَـرْحِيبِ والإجْـلاَلِ
وتَشَاوَرُوا فِي شَأنَهُ وتَجَمَّعُوا *** وقَـضَـوا حَـوَائِجَهُ بِـلا إهْـمَـال
وإذا رَأوا ذا شِيمَـةٍ مَرْضِيَـةً *** و مُـرُوءَةٌ تَـعْلُـو بِـهِ وكَمَـال
أو بَـائِساً ذا فَـاقَـةٍ مُتَـعَفِفاً *** أو عَـابِـداً للهِ ذا إجْـــــلاَلْ
أو عَـالماً مُتَصـدراً لإفَـــادَةٍ *** لَـمْ يُلْهِهِ شُغْـلٌ مِـــنَ الأشْـغَالِ
عَكَسُوا القَضِيَّة واسْتَخَفُّوا بِشَأنِهِم *** غَمْـــضاً لَهُـمْ فِعْلَ البَغِيْض القَالِ
مَهْمَا يُـقَالُ لَـــهُمْ هَلُـمَّ تَصـدَّقُوا *** قَالُوا افْتَـــقَرنَا ومَـــا لنَـــا مِنْ مَالِ
وإذَا عَلَـى المَعْرُوفِ دُلُّوا قَالُوا لا *** شَـــيءَ لَنَـــا نُـعطِيـــهِ للسُّـــؤَالِ
فـالخير كُـلٌ خِـصَالُهُ مَفْقُـــودَةٌ *** مِـنْهُـمْ سِـوَى الـتفْـــرِيطُ والإهْمَـالُ

بعد تصوير الشاعر لحال أهل قريته، ينتقل إلى تأكيد هذا الوصف، وكأنه يعلم أنَّ من يسمع هذا الوصف سينقده ويكذبه ويلومه على وصفه إياهم بتلك الأوصاف، فأنشد هذه الأبيات مجيبًا لمن ينقده ويلومه قائلًا [29]:

يَا مِنْ يُفَنِّدُنِي بوَصْفِ عَشِيرَتِي *** أقْـصِرْ عَـنْ الَتفْـنِيدِ والتعْـــذالِ
ولِلائِمِي فِي ذمّهمْ دَعْ لَوْمِي لا *** تَعْـذلْ فَـلَسْتُ بِـوَصْفِهِمْ مُـتَـغَـالُ
ذمَي لَهُمْ حَلَّ لَمَا قـد قَـارَفُـوا *** جَهْـراً فَدَعْ لَوْمِي وخَـلَّ جِـدَالِ
واقْلِلْ عِتَابِي لِهَجْوهَمْ لَيْسَ الَّذِي *** قَـدَمتُهُ فِـــي حَـقِـهِمْ بِـمُحَـــالِ
وإذا شَكَكْتُ ولِمْ تُصَدِقْنِي فَـسَلْ *** ذا خِبْـرَةٍ يُنْبِـــي عَـنْ الأحْـــوَالِ
وانْظُر بِـعَيْنكَ تَـــلْقَ مَـا قَـيْدَتَهُ *** حَـقِا يَـقِينًا دُوْنَ مَـــا إشْكَـالِ
يَكْفِيك عُـــذراً أنْ قَبِلتَ بِـــأنَّنِي *** فِـــي حَيْزِ الهِجْرَان و الإغْـفَالِ
أبْـدِي النَّـصِيحَة دَائِمًا لَهُمْ وهُمْ *** لا يَقْبَلُونَ نَـصِيحَتِـــي ومَقَالِي
ولَزِمْتُ بَطْـنَ دُوَيْـــرَتِي مُتَفَـرَّداً *** لَـــمْ أعْبَا بالأعْمَـــامِ و الأخْـوَالِ

ويختم الشاعر قصيدته بأبيات تصور حاله، وكيف أن نفسه تريد التنقل، إلا أنه يسفه أرادتها ويعتذر عن هذه الحالة التي يعيشها قد عمت البلاد جميعها فيما يظن، إلا أنه يجد متنفسًا وحيدًا وهو أن من كان قبله ممن يفوقونه في العلم والأعمال قد أودُوا، وخير مثال قدوتنا سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويناجي الشاعر نفسه في نهاية المطاف بألا تجزع من القضاء الذي حل به، وأن تصبر وتغض الطرف عن أفعالهم القدرة، وأن تعتصم بالله سبحانه وتعالى.

فقال [30]:

فَـمِنْ أَجْـــل ذا نفْــسِي تُرِيــدُ تَـنقُلاً *** وتَحُثـنِي دَوْمًا عَلَــى التِـرْحَـالِ
و أنَـا أسَــقَّـــهُ رَأيَـهَا وأجِـيــبُــهَـا *** تَـسْليــَةُ مَا حِـيلَــةُ المُحْتَـال
والخَطْــبُ قَــدْ عَــمَّ البِلاَدَ بِـأسْــرِهَا *** فِيمَــا أظُنُّ ومَا فَـشَى مَنْ قَـالَ
لا غَـــرْو أنْ أوذِيـــتُ قَبْلِي قَــدْ أذِيَ *** مَنْ فَاتَـــنِي بالعِلْـمِ و الأعْمالِ
لـي أُســـوَةٌ فِـي الهـــاشِمِي و آلِـــهِ *** والصَـالِحِينَ بِسَالـــفِ الأجْيَالِ
لا تَجْزَعِي يا نَفـــسُ مِنْ وَقعِ القَــضَا *** و اسْتَشعِرِي صَبْرًا عَلَى الأَوجَالِ
واغْضِي الجُفُونَ عَلَى القَذا و استَعْصِمِي *** بِالدَائِـمِ الفَرْدِ القَــدِيمُ العَــالِـي

1:2:2 هجاء الشاعر دفاعًا عن شيخه وأهل الجبل

تناول الشاعر أيضًا في قصائده قضية السخرية والاستهزاء بالآخرين، وما ينتج عنها من أضرار تؤذي الأفراد والجماعات، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لا يسخر قَوْمٌ مِن قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ ولا نِسَاءٌ مِن نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ} [31].

فأنشد الشاعر أبياتًا يرد فيها على سخرية واستهزاء "أبو نصر الشامي" من شيخه "عبد الله الباروني" ومن أهل الجبل ونسائه، حيث كان أبو نصر الشامي يشتغل منصب القاضي في نالوت إحدى قرى جبل نفوسة، فتعرض للشيخ عبد الله الباروني بالسخرية و الاستهزاء من علمه و مكانته العلمية، كما تعرض لأهل الجبل و سخر من طريقة عيشهم، وحتى نساء الجبل لم يَسْلمن من سخريته واستهزائه [32] مما أوجب على الشاعر الرد عليه قائلا [33]:

قُل لمَنْ عَنْ دُرْوَة العَقْلِ غَفِلْ *** هَلْ يَنَالُ الفَضْلَ إلا مَنْ عَقَلْ
إنَّ للعَـقْـل عَلامَاتٌ ولَــمْ *** أَرَى مِنْهَا خِصْلَةً فِيكَ تَدُلْ
إذ دَلِيلُ العَقْل بِــرٌّ وتُـقَى *** ودَلِيلُ العَقْلِ إصْلاحُ العَمَلْ
لا تظُنَّ العِـلْمَ يُعْـلِيكَ بِـلا *** عَـمَلٍ هَيْهَاتَ هَيْهَا لا تَخَلْ
و اقْضِ بالعَدْلِ ولا تَعْدُل فَقَدْ *** خَابَ مَـنْ عَـنْ العَدْلِ عَدلْ

يخاطب الشاعر في مطلع قصيدته "أبو نصر الشامي" موضحًا له أن ما فعله بعيد عن العقل وتبين له أن من علامات العقل البر والتقوى والعمل الصالح. ثم يمضي في الدفاع عن شيخه الذي اتهمه خصمه باللحن في القول فيقول [34]:

قُـــلْ لِـمَنْ أعْـرَبَ فِـــي أقْــوَالِـهِ *** وعَـن المَقْصُودِ بالـذّاتِ غَـفلْ
بَــعْضُ عِلمِ النَحْو يَكْـفِي مِثـلَ ما *** يُصْلحُ العَيْشَ مِـنَ المِلحُ الأقَلْ
حُــسْـنُ الأفْـعَالِ تُــنْجِ يَــومَ لا *** يــجِـدُ الإنسَــانُ إلا مَـا فَعَلْ
إنْ حَسِبْتَ اللَّحْنِ فِي القَوْل خَطاء *** فخَطَاءُ الفِعْلِ عَنْ النَقْـص أدَلْ
يَـسْأل اللهُ الــوَرَى عَــنْ فِـعْلـهِـمْ *** وعَـن الإعْـرَابِ قَــوْلا لا يَسَلْ

الشاعر في هذه الأبيات يدافع عن شيخه مبينًا أنه لا يلحن لحنًا فاحشا وإنما قد يسهو رغم رد الشاعر "عبد الله الباروني" على أبو نصر الشامي بقصيدة قال في مطلعها [35]:

يَا أبَا النَّصْرِ تَجَلَّدْ و اصْطَبِرْ *** فـإذا البَيْنُ انْتِهَـاءٌ وأجَـلْ
سَوْفَ يـأتِي اللهُ بـالقُرْبِ إلـى *** مَسْقَطِ الرَّأس و مَعَادِ الأهَلْ
حِكْمَةُ المَوْلَى جَرَت فِي خَلْقِهِ *** بـاغْتِـرَابٍ و افْـتِـرَاقٍ ونَقَلْ

إلا أن الشاعر "عمرو عيسى التندميرتي" لم يتمالك نفسه في الرد عليه أيضا، والدفاع عن شيخه، فأنشد أبياتًا يصف فيها رد شيخه له معرفا بمكانته شيخه فقال [36]:

إذ عُبَيْدُ اللهِ فـاجَـأكَ بِـمـا *** بهِ فاجَأكَ مِنَ اللَّفْظِ الجَزِل
جُمَلاً كـالسُمَّ تُؤذِي وهِي مِنْ *** لينِـهَا يَحْسَـبُهَا الغِـرُّ عَسَل
ذَاكَ عَـبْدُ اللهِ عَـبْدُ اللهِ مَـنْ *** صِيتِه نَــارٌ عَلَـى رَأْسُ جَبَل
ذَاكَ إنْ نَــازَلَ يَــوْمـًا قِـرْنَهُ *** ورَأَى لامَـتَهُ القَـرْنُ جَـفَل
وكَـذَا حَـالُكَ مَعَهُ حَالُ مَـنْ *** يَدَعِـي البَاسَ وإنْ لاقَ فَشَل
لا تَـخَلْ مــا قَالَ مَدْحًا إنَّمَـا *** ذَاكَ تَمْلِيحٌ فَفوْقَ وضَـعْ المَثَل
مَدْحُ الانْسَانِ بِوَصْفٍ لَمْ يَكُنْ *** فِيهِ هَجْوٌ إنْ تَكُنْ مِمَنْ عَقَل

ويختم الشاعر بهذه الأبيات دفاعه عن شيخه، ويتنقل للرد على سخرية "أبي نصر الشّامي" بنساء الجبل وبجمالهنَّ فقال الشاعر [37]:

قُلْ لي أنِي لكَ عِلمٌ بالذِي *** قُلْتُ فِي وَصْفِ نِسَا أهَلْ الجَبَلْ
إذْ تَمشدَقَـتْ بـإفْـكٍ بَيَّـنِ *** وتـفَوهْـتُ بِـفُـحْـشٍ لـمْ يُـقَــلْ
أرَأيْتَ الكُلَّ قُلْ لي يا فَتَى *** أمْ بِـبِعْضِ النَـوعِ عَـنْهُنَّ تَسْتَدِلْ
فقِيَاسُ المِثْل وَاهٍ و ادْعَاءُ *** رُؤْيَــةِ الـمَجْمُوعِ يَــأبَهُ العَـقْـلْ

يستفسر الشاعر في هذه الأبيات من خصمه أنَّ له العلم بنساء الجبل، حتى يقول ما قال من فحش الكلام في حقهنَّ، ويسأله إن كان قد رأى كل نساء الجبل، أم استدل على بعضهنَّ، وأطلق حكمه على الكل، فإن قاس على بعضهن فقياسه واهٍ وضعيف، وإن رأى الجميع فالعقل يأبى ذلك. ويدرك الشاعر أن ما صدر من "أبو النصر الشامي" من سخرية واستهزاء بنساء أهل الجبل عامة ونساء نالوت خاصة، إنما كان لضعف إيمانه فأراد الشاعر أن يذكره فأنشد قائلاً [38]:

أتُــذَمُّ الطِــينَ أمْ صَــانِعَهُ *** وَيْــكَ جَــدِّدْ تَــوْبَة فَالنَّعـلُ زَلْ

ثُــمَّ مَـعَ هَـذَا فَنَالُوتُ بِـهَا *** كِـسِوَاهَا مَنْ عَن الوَصْفِ تَجَـلْ

تَسْــلُبُ اللُّــبَّ إذا عَـايَنْتَهَا *** تَنْحَنِــي طَـوْراً و طَوْراً تَعْـتَـدِلْ

حُسْنُهَا يَكْفِيكَ عَـنْ تَزَيـنِهَا *** بِــحُلِى ونَـفِيـسٍ مِــن حُــلَـلْ

يَكْسِفُ الشَّمْسَ مَحْيَاهَا إذا *** مَـا بَـدَا تَحْتَ ظَــلامٍ مُنْسَـدِلْ

نجد في البيت الأول حكمةً وموعظة تكاد تكون مقالا يقال لكل من يسخر من خلق الله، ثم ينتقل الشاعر لوصف جمال المرأة النفوسية؛ فهي تسلب العقل بمجرد النظر إليها، فجمالها الطبيعي يغني عن زينتها بالحلي، كما أن جمال وجهها يكسف الشمس إذا ظهر من تحت سواد شعرها. ثم ينتقل الشاعر إلى الدفاع عن أهل الجبل ردًا على أبي نصر الشامي الذي امتدح الشام وذم وسخر من أهل الجبل قائلا [39]:

تَذَّمُ العَيْشَ بِقُطرِ أهْـلُهُ *** أهْلُ زُهْــدٍ واكْتِفَاءُ بِـالأَقَلْ

لَهُمْ فِي كُلِ عَصْرٍ عِلْمٌ *** إنْ تَكُنْ تَجْهَلُهُمْ عَنْهُمْ فَسَلْ

أهْـلُ جِــدٍ واجْتِهَادٍ سِــرُهُمْ *** مُسْتَبِينٌ ظَاهِـرٌ لا يَـجْتَهِلْ

لا يُطِيقُ الخَصْمُ انْـكَارًا لَـهُ *** وكَرَامَاتٌ عَلَـى الفَضْل تَدُلْ

يَكْفِي مَنْ أنْصَفَ مِنْهَا أنَّهُمْ *** أسْلَمُوا طَوْعًا بِـلا سَيْفٍ قَتَلْ

يعرف الشاعر في هذه الأبيات بأهل جبل نفوسة فيصفهم بأهل الزهد وأنهم أهل جد واجتهاد.

ثم يختم الشاعر قصيدته بأبيات يخاطب فيها نفسه، ويدعوها إلى الصبر والحذر من الشيطان وألا يكون وعظه للآخرين وهو لم يتعظ فقال [40]:

يَا أبَـا عُثْمَانَ لا تَـأسَ لِمَـا *** قَـالهُ الأفَّاكُ واصْـبِرْ و احْـتَمِلْ
فَالَّذي قَـدَمْتَ كَافٍ فَـاقْتَـصِدْ *** واقْـصرْ القَـوْلَ عُـمَيرٌ لا تُطِلْ
واقْمَعِ النَّفْسَ و سُلْطَانَ الهَوَى *** واحْـذَرِ الشَّيْطَانَ والخَلْقَ اعْـتَزِلْ
واسْعِ لِلأخْرَى ودَعْ دَارَ الفَنَاءِ *** واكتَفِـي منْـهَا بِـمَا قَـلَّ وحَـلْ
لا يَـكُنْ وَعْظُـكَ لِلْغَيْرِ ولَـمْ *** تَـتَّعِظْ وَيْحَـــكَ مَنْ قَـالَ فَعَلْ

الخـــاتمة

لقد اكتملت هذه الدراسة بمباحثها ومطالبها لنصل إلى خاتمتها محاولين أن نرز على أهم النتائج التي تم التوصل إليها في النقاط التالية:

1_ تعد البيئة التي ترعرع ونشأ فيها الشاعر في بداية حياته ذات دور فاعل في أسلوبه، ومعانيه من خلال تشبعه بمبادئ الدين الإسلامي، وهذا يبدو واضحًا في قصائده الشعرية، فالهجاء الشعري حمله الشاعر لتذكير العامَّة بأصول الدين ويحثهم على مكارم الأخلاق.

2_ استطاع الشاعر أن يواكب شعراء عصره من حيث اللغة، الأسلوب، والصورة الشعرية.

3_ صور لنا أدب شاعرنا صورة واضحة لمرحلة من مراحل حياتنا الفكرية، والأدبية تظهر في كثير من جوانبها ملامح من حياتنا الاجتماعية، والثقافية في فترة من فترات تاريخ شعبنا.

وفي نهاية هذه الدراسة نأمل من الله سبحانه وتعالى أن نكون قد حققنا بها خدمة لأدبنا الليبي ولو بقسط يمكن في التعريف بأحد رواده.

المصادر والمراجع

[1] ع. ع. أحمد، منعطفات الإصلاح في شعر عمرو بن عيسى التندميرتي، المجلد 1، تندميرة: منشورات مجلة المؤتمر، 2007.

[2] ا. أ. الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المجلد الاولى، ليبيا تونس: الدار العربية للكتاب ، 1978.

[3] ع. ا. ب. ر. السياب، رحلتي إلى وادي ميزاب و جبل نفوسة، 2011، 44 .p.

[4] ع. أ. عيسى، منعطفات الإصلاح في شعر عمرو عيسى التندميرتي، منشورات مجلة المؤتمر، 2007.

[5] ا. إ. ص. التندميرتي، Interviewee، [مقابلة]. 28 12 2013.

[6] دليل المؤلفين العرب الليبيين، طرابلس: دار الكتب، 1977.

[7] ع. أ. عيسى، منعطفات الاصلاح في شعر عمرو عيسى التندميرتي، منشورات مجلة المؤتمر، 2007.

[8] ا. إ. ص. التندميرتي، Interviewee، [مقابلة]. 19 1 2014.

[9] ع. أ. عيسى، منعطفات الاصلاح، المجلد الأولى، منشورات مجلة المتمر، 2007، .p. 26

[10] ع. أ. عيسي، منعطفات الإصلاح، المجلد الأولى، منشورات مجلة المؤتمر، 2007، .p. 34

[11] م. ب. م. ب. ع. وآخرون، معجم أعلام الإباضية، المجلد 2، دار الغرب الاسلامي، 2006.

[12] دليل المؤلفين العرب الليبيين، طرابلس: دار الكتاب، 1977، 299 .p.

[13]ا. إ. صالح، Interviewee، [مقابلة]. 19 1 2014.

[14]ا. إ. صالح، Interviewee، [مقابلة]. 19 1 2014.

[15]ا. إ. صالح، Interviewee، [مقابلة]. 19 1 2014.

[16]دليل المؤلفين العرب الليبيين، طرابلس: دار الكتب، 1977.

[17] ع. أ. عيسى، منعطفات الاصلاح في شعر عمرو عيسى التندميرتي، منشورات مجلة المؤتمر، 2007، 31 .p.

[18]مجلة الدعوة الإسلامية، 301–300 .pp، 1995.

[19]س. مليطان، معجم الشعراء الليبيين، المجلد الاولى، دار مداد للنشر و التوزيع، .p 39.

[20] ع. ع. التندميرتي، ديوان القلائد الدرية في مدح خير البرية، القاهرة: مطبعة الاسلام ، 1324 هـ.

[21] ع. ع. التندميرتي، ديوان القلائد الدرية في مدح خير البرية، القاهرة: مطبعة الاسلام ، 1324 هـ.

[22]م. ع. علي، دراسات في أدب العرب قبل الإسلام، جامعة المفتوحة.

[23]م. ع. علي، الأدب الاسلامي– عصر النبوة والراشدين وبني أمية، المجلد 3، كلية الدعوة الإسلامية، 1994، 47–46 .pp.

[24]د. م. ع. علي، الأدب الإسلامي عصر النبوة والراشدين و بني أمية، كلية الدعوة الإسلامية، 1994، 133 .p.

[25] ع. ا. ي. الباروني، ديوان الشاعر عبد الله الباروني، القاهرة: دار الطباعة المحمدية .

[26] ع. ا. ي. الباروني، ديوان الشاعر عبد الل الباروني، القاهرة : دار الطباعة المحمدية.

[27] ع. ا. ي. الباروني، ديوان الشاعر عبد الله الباروني، القاهرة: دار الطباعة المحمدية.

[28] ع. ا. ي. الباروني، ديوان الشاعر عبد الله الباروني، القاهرة: دار الطباعة المحمدية.

[29] ع. ا. ي. الباروني، ديوان الشاعر عبد الله الباروني، القاهرة: دار الطباعة المحمدية.

[30] ع. ا. ي. الباروني، ديوان الشاعر عبد الله الباروني، القاهرة: دار الطباعة المحمدية.

[31]قرآن الكريم برواية قالون عن نافع.

[32]ا. إ. ص. التندميرتي، Interviewee، [مقابلة]. 19 1 2014.

[33] ع. ا. ي. الباروني، ديوان عبد الله الباروني، القاهرة: دار الطباعة المحمدية.

[34] ع. ا. ي. الباروني، ديوان عبد الله الباروني، القاهرة: دار الطباعة المحمدية.

[35] ع. ا. ي. الباروني، ديوان الشاعر عبد الله الباروني، القاهرة: دار الطباعة المحمدية.

[36] ع. ا. ي. الباروني، ديوان، القاهرة: دار الطباعة المحمدية.

[37] ع. ا. ي. الباروني، ديوان، القاهرة: دار الطباعة المحمدية.

[38] ع. ا. ي. الباروني، ديوان، القاهرة: دار الطباعة المحمدية.

[39]ي. ع. ا. الباروني، ديوان، القاهرة: دار الطباعة المحمدية.

[40] ع. ا. ي. الباروني، ديوان، القاهرة: دار الطباعة المحمدية.